المحبة الكاملة

(والدينونة العتيدة)

للقديس

يوحنا ذهبي الفم

لقد نزل إلينا إبن الله، بسبب محبته الفائقة للبشر، وعاش في وسطهم، وقدَّم محبته للجميع، وظهر هذا في الأقوال والأعمال. وبعدما أبطل خداع تعدد الإلهة، وأعلن معرفة الله الحقيقية، علَّم البشر كيف يُحبون بعضهم بعضًا، وقد شهد القديس يوحنا الإنجيلي بذلك قائلاً: " لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" هذه المحبة المشتعلة في قلب الرسول بولس، جعلته يصرخ بهذا الصوت السماوي قائلاً: " مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟".

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.

E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة :

١٥,٠٠ جنيه

المحبة الكاملة

(والدينونة العتيدة)

للقديس يوحنا ذهبي الفم

ترجمة ومقدمة

دكتور

سعيد حكيم يعقوب

اسم الكتاب : المحبة الكاملة (والديونة العبّدة)

اسم المؤلف : القديس يوحنا ذهبي الفم

اسم المترجم : د. سعيد حكيم يعقوب

الطبعة الأولى : مايو ٢٠١٦

رقم الإيداع : ١١١٠١/٢٠١٦

اسم المطبعة : جي سي سنتر، مصر الجديدة

ت: ٢٦٣٣٨١٣٧



قداسة البابا توضرواس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

مقدمة

يرى القديس يوحنا ذهبي الفم أن محبة القريب، هو أهم عمل روحي يقوم به الإنسان، وقد سار هو شخصيًا على خُطى سيده من جهة محبة الآخر محبة فائقة، وكان يرى أن الإنسان هو المذبح الحقيقي لله، وإن تجاهل الإهتمام به، هو أسوء من الإضطهاد الفعلي، فالإنسان عنده هو موضوع محبة الله. ولذلك لم يهمل قط، في كل عظاته، سواء التفسيرية، أم العقيدية، أم الإحتفالية، الحديث عن محبة الآخر، إذ هي من أهم الموضوعات المحببة إلى نفسه. فقد عاش كل حياته مهمومًا بخدمة الإنسان، وكل الإنسان، ولم تكن التقوى عنده، بديلاً عن السعي نحو محبة الآخر. إذ كان يؤكد بإستمرار على أن المحبة الكاملة، هي دواء شافٍ لكل أمراض النفس، وأن الطريق الوحيد الذي يقود إلى ملكوت السموات يبدأ من المحبة الصادقة والأمينة " صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح" (أف٣:١٥).

وهذا ما أشار إليه القديس الإنجيلي، بقوله: " وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (١يو٤: ٧-٨). المخرج الوحيد من كل الأزمات عند القديس يوحنا ذهبي الفم، يتمثل في إدراك الإنسان لأهمية المحبة، لأن المحبة هي إعلان عن حضور الله وسط البشر.

لذلك فإن السمة الغالبة في كتاباته، وتعليمه، قائمة على إعتبارات خاصة برؤيته للمعنى الشامل، والكامل، والتطبيقي، لمحبة المسيح نحو البشر. هو ذاته كان محصورًا بهذه المحبة من كل جانب، وكان يرى أن المحبة لكي تصبح واقعًا ملموسًا، لأبد أن تُترجم في مواقف مُعلنة ومحددة. لأن تبعية المسيح، تقتضي التمثل بمحبته، فالمحبة تملك بالخدمة، وقوتها الحقيقية هي في العطاء. ومن أجل يقول القديس يوحنا ذهبي الفم [ما فائدة المحبة عندما تكون بلا رياء، لكنها بلا دفء]، يقول أيضًا [إن بداية ونهاية الفضيلة هي المحبة].

إن الوجود والحب عند الله، شيء واحد، لذلك فكل مَن يُحب، يأتي في علاقة مباشرة مع الله.

فالمحبة هي إلتزام ودين على الواحد تجاه الآخر، وعندما تكون مُتجذرة داخل النفس، فسوف تثمر بكل ثمار الصلاح، هكذا يقول [لو تُممت وصية المحبة، فلن يكون هناك عبد وحر، رئيس ومرووس، غني وفقير، عظيم وفقير، عظيم وحقير، فنحن نعرف تلميذ المسيح من المحبة التي تتوجه]

ختامًا فقد راعينا أن نضم عظته التي تحمل عنوان " الذين يحبون الله"، إلى هذه العظة حتى تتضح الصورة الكاملة للمحبة.

ليبارك المسيح إلهنا هذا العمل، لبنيان كنيسته، ونمو المؤمنين، بشفاعة والدة الإله العذراء القديسة مريم، والقديس يوحنا ذهبي الفم، وكل الآباء القديسين، وصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني، والمجد للثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس الآن وإلى الأبد أمين.

تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في بترولوجيا ميني، المجلد ٥٦، ص٢٧٩ ـ ٢٩٠.

دكتور

سعيد حكيم

I ـ القديس يوحنا ذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعبيد والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيمًا للمجتمع على أساس طبقي، وتمييزًا بين الأغنياء والفقراء، وإتساعًا لمساحة الظلم الإجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الإجتماعية المعيبة، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعي في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحدًا مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضًا لم يكن يتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب، ولم يثنيه الاضطهاد عن التشبث بالحق والتمسك بمبادئه.

كان والده قائدًا للجيش، أما أمه وتدعى "أنثوسا" فقد ترملت في سن مبكر جدًا، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرّست كل حياتها لتربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النشأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعليًا حتى أثناء تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدي المغائر في جبال أنطاكية. إلا أن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تنسكه تعمقًا كبيرًا، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهبي الفم[١].

في عام ٣٨١م رسم شماسًا بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

١ـ ضد اليهود،

٢ـ ضد يوليانوس والأمم،

---

1 Δ.Γ.Τσαμης. " Εκκλησιαστική Γραμματολογία ". Θεσλνίκη 1992, σελ.163-164.

٣. عن البتولية،

٤. رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥. الدفاع عن الرهبنة،

٦. الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧. ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس.[٢]

وفي عام ٣٨٦م رسم كاهنًا، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضًا وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرّس جزءً كبيرًا من حياته في خدمة كل مَن له احتياج، الأمر الذي جعله محبوبًا جدًا في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقشفة، وكان ملبسه خشنًا ومأكله بسيطًا، وكان يدوام على افتقاد الفقراء في بيوتهم ويزور المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد

---

[2] Palladuis 5.

بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضًا أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

في عام ٣٩٧م - وبأمر من الإمبراطور أركاديوس - ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندري سنة ٣٩٨م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكثف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهراطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القويم. وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة أفذوكسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفتروبيوس. وقد وُجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) - قال البعض إن هذا قد حدث بسبب نفيه - فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى. لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع

أفذوكسيا، وأُقتيد إلى المنفى، وكانت أول محطة له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية، وبعد وقت قليل صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة الشرقية للبحر الأسود. لكنه لم يصل إلى هناك لأن الطريق كان طويلاً وشاقًا. وبسبب المتاعب الكثيرة والمعاملة السيئة التي لاقاها، تنيح في الطريق سنة ٤٠٧م[٣].

وتحتفل الكنيسة بتذكار نياحته في ١٧هاتور ٢٧نوفمبر.

كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:

القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجًا، حيث تقع مؤلفاته في ١٧ مجلدًا في مجموعة الآباء باللغة اليونانية (Π.Γ. 47-64). وقد تنوعت كتاباته بين:

عظات تفسيرية:

+ سفر التكوين: ٨ عظات، تشكل تفسيرًا شاملاً للسفر.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزمورًا.

---

[٣] المرجع السابق، ص١٦٥.

+ سفر إشعياء (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيرًا كاملاً.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات).

+ إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهى تشكل نصف عظاته تقريبًا وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

كتابات عقائدية:

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن الطبيعة الإلهية غير المدركة ('Ακατὰληπτο τῆς θεἰας φὺσης)

+ ١٢ عظة "للمعمدين الجدد".

+ ٨ عظات "ضد اليهود".

عظات في موضوعات متفرقة:

+ عن الرحمة.

+ عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.

+ ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمَن يتقدمون لنوال سر الكهنوت).

+ عن الحياة الرهبانية.

+ عن الزواج والبتولية

عظات في الأعياد والمواسم:

+ عن ميلاد المخلّص. + عن الظهور الإلهي.

+ عن عيد الخمسين. + عن صلب المخلَص.

+ عن القيامة. + عن الصعود.

+ ثم عظة عن خيانة يهوذا.

مديح للشهداء والأبرار القديسين:

مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة القديسين، القديس بولس.

رسائل:

+ كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.

+ ١٧ رسالة إلى الشماسة أولمبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.

العظة الأولى

المحبة الكاملة

(والدينونة العتيدة)

المحبة الكاملة

(والديونة العتيدة)

ثمر المحبة

كل عمل صالح، هو ثمر للمحبة، ولذلك كثر الكلام عن المحبة. هكذا قال المسيح لتلاميذه " بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ"[٤]، وأيضًا يقول الرسول بولس " لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا"[٥]. فهو لم يعتبر المحبة أمرًا عاديًا، لكنها إلتزام ودين الواحد نحو الآخر. لأنه كما أننا ملتزمون بالإهتمام بالجسد فنوفيه إحتياجاته كافة طوال الحياة، هكذا أيضًا بالنسبة للمحبة، فهي تُعلمنا أن نعمل، وبالأكثر جدًا تقودنا إلى الحياة الأبدية، وتبقى مع أولئك الذين يمتلكونها. " أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ

---

[٤] يو١٣: ٣٥.

[٥] رو١٣: ٨.

أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ"[6]. ليس فقط بالكلام، بل إننا نتعلمها وننمو فيها من خلال الحياة العملية.

أولاً: وقبل كل شيء. من خلال خلقتنا، فبعدما خلق الله الإنسان، قال: " هوذا الانسان قد صار كواحد منا"، وبناء عليه، ينبغي أن نؤمن بأننا واحد فيما بيننا، ونهتم أن نحيا في محبة، الواحد نحو الآخر.

ثانيًا: ومن خلال تعاملاتنا وعلاقاتنا، لقد علّمنا السيد المسيح بكل حكمة كيف تكون محبة القريب؟ إسمع كيف بعدما ملأ المسكونة بخيرات كثيرة، أعطى لكل مكان إمكانية أن ينتج ثمارًا متميزة، حتى أنه عند الإحتياج، يلجأ الواحد إلى الآخر، ويقدم المرء من الفائض الذي لديه، ويأخذ من آخرين ما ينقصه. فلنحب بعضنا بعضًا، إذ نحن شركاء في الإنسانية. هذا ما وضعه الله في كل إنسان على حِدى، لأنه لم يعطِ الجميع أن يعرفوا كل شيء، بل أعطى لواحد أن يعرف علوم الطب، والآخر جعله يجيد حرف يدوية، وأعطى لثالث عملاً

---

[6] اكو١٣:١٣.

مختلفاً، حتى يظل هناك إحتياج الواحد إلى الاخر، وحتى نترابط معاً بالمحبة. بل وبالنسبة للجوانب الروحية، نجد أن الله يخصص لكل إنسان موهبته، كما يقول الرسول بولس: " فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ."[٧]، ولكن لا شيء أسمى من المحبة. لذلك فقد وضع المحبة قبل كل شيء، هكذا يقول: " إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا"[٨]. لكنه لم يتوقف عند هذا الحد، بل ويعلّم أيضاً بأن الموت في تقوى وإيمان لا يفيد بشيء، إلا إذا إرتبطت هذه التقوى وهذا الإيمان بالمحبة. ولم يتكلم الرسول

---

[٧] ١كو١٢ :٨-١٠.

[٨] ١كو١٣ :١-٢.

بولس عنها بشكل سلبي، لأنه كان يعرف جيدًا، وهو العامل بوصايا الله، عندما تكون المحبة متجذرة في النفس، فسوف تثمر بكل ثمار الصلاح. لأن وصايا مثل " لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ"[9]، وأي فضيلة أخرى تتلخص في ما قاله في رسالته إلى أهل غلاطية " كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ:«تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»"[10]. ولكن هل هناك ضرورة للحديث عن الأمور البسيطة، ونصمت عن الأمور العظيمة؟ لقد نزل إلينا إبن الله، بسبب محبته الفائقة للبشر، وعاش في وسطهم، وقدم محبته للجميع، وظهر هذا في الأقوال والأعمال. وبعدما أبطل خداع تعدد الإلهة، وأعلن معرفة الله الحقيقية، علّم البشر كيف يُحبون بعضهم بعضًا، وقد شهد القديس يوحنا الإنجيلي بذلك قائلاً: " لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ"[11]. هذه المحبة

---

[9] خر ٢٠:١٣-١٦.

[10] غل ٥:١٤.

[11] يو ٣:١٦.

المشتعلة في قلب الرسول بولس، جعلته يصرخ بهذا الصوت السماوي قائلاً: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟"[١٢].

إذًا بعدما إزدرى بكل هذه الأمور، كأنها لا شيء، تحدث عن ما هو أكثر أهمية بكثير من كل هذا، قائلاً: "فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا"[١٣]. هكذا فإنه لا شيء قد إستطاع أن يفصل هذا الطوباوي عن محبة الله التي إستُعلنت في المسيح يسوع، فقد إشتعلت هذه المحبة في قلبه، فلا سماء ولا أرض، ولا بحر، ولا ملكوت السموات، ولا أي شيء آخر يقدر أن يفصله عن هذه المحبة الغامرة، فقد تجاوز كل هذه الأمور لأجل المسيح. ولو أننا تمعّنا في حياة القديسين الآخرين، سنتأكد من أن

---

[١٢] رو ٨: ٣٥.

[١٣] رو ٨: ٣٨، ٣٩.

الجميع قد ظهروا متميزين، وقد أرضوا الله بمحبتهم.

المحبة والفكر الواحد:

إن محبتك لقريبك ينبغي أن تكون مثل محبتك لنفسك، فهي تعلمك أن تفرح عندما ينال خيرات وتفرح لما يحققه، كما تفرح لنفسك عندما تحقق أهدافك، وتعلمك محبة القريب أن تحتمل نقائصه، كما تحتمل أنت عيوبك. المحبة تجعل الكثيرين جسدًا واحدًا، وتجعل من نفوسهم هيكلاً للروح القدس. لأن روح السلام يستريح في نفوسهم، حين يكونوا متحدين، وليس عندما يكونوا منقسمين فيما بينهم. المحبة تجعل كل شيء مشتركا بين الجميع، كما يخبرنا سفر أعمال الرسل " وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِه لَهُ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا.. فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ"[١٤].

---

[١٤] أع ٤: ٣٢-٣٤.

هل يمكن أن يُهدم حائط من هجمات الأعداء، عندما يكون راسخًا ومتينًا، ومترابطًا بحجارة كبيرة، وبشكل مُتوافق، هكذا تكون جماعة المؤمنين التي لها فكر واحد، ومحبة مشتركة تربطهم معًا برباط قوي. هذه المحبة كفيلة بأن تصد هجمات الشيطان وتُبطلها، وهذا أمر طبيعي جدًا، لأن أولئك الذين يصطفوّن معًا، في مواجهة الشيطان، الواحد إلى جوار الآخر، لا يمكن أن تقهرهم أو تغلبهم أسلحته القتالية، وحيله الشريرة، وسوف ترتفع رايات إنتصار المحبة عالية. وكما أن أوتار القيثارة كثيرة، لكنها مشدودة في توافق، وتُصدِر نغمات عذبة ورائعة، هكذا الذين لهم رؤية واحدة، يعزفون لحن المحبة الرائع. لذلك فإن الرسول بولس يُوصينا أن نفكر في ذلك. ليتفهم الإنسان علاقته بالآخر، وليعتبره أسمى منه، حتى لا تتهدم المحبة، بسبب حب المجد الباطل، بل ليقدم الواحد الكرامة للآخر، بدلاً من نفسه، وليقضى الجميع حياتهم في توافق وإنسجام، هكذا يقول " بِالْمَحَبَّةِ

اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»"[١٥]. مَن يُحب ليس فقط لا يُريد أن يأمر، بل أن يُأتمر، يُريد أن يَخْدم، لا أن يُخدَم، لأنه يُريد أن يكون دائنًا لمن يُحب، على أن يكون مدينًا له.

الذي يحب ويريد أن يخدم الآخرين، لا يريد أن يبدو وكأنه يُقدم خدمات، فالألوية عنده، هي فعل الخير وتقديم الإحسانات، ولكنه يحرص على ألا يكون ذلك كله ظاهرًا، يفعل كل شيء في الخفاء. ربما لا يُدرك البعض ما أقوله، ولكي أجعل هذا الكلام واضحًا، سأطرح المثال التالي: الله مُحب البشر، أراد أن يُقدم إبنه وحيد الجنس ذبيحة لأجلنا، وحتى لا يبدو أنه يُقدمُ خدمة، بل يسدِّدُ الدين الذي كان علينا، أَمر إبراهيم أن يُقدم إبنه ذبيحة، حتى يفعل هو أيضًا نفس الشيء، فيظهر وكأنه لا يقدم خدمة، بل يُسدِّدُ دين، وهذا إعلان عن محبته الفائقة نحو البشر. أعرف أن ما قلته يبدو للكثيرين وكأنه أمر غريب. والسبب أنني أتحدث

---

[١٥] غل ٥:١٣-١٤.

الآن عن موضوع قائم في السماء. كما لو كنت أتحدث عن نبات ما يُزرع في الهند، وليس لأحد خبرة في زراعته، فمهما تحدثنا، لن نستطيع أن نصفه بالكلام، مهما أسهبنا في الحديث عن هذا الأمر. هكذا الآن مهما قلت وتكلمت، فلن يكون الكلام واضحًا لدى البعض. لأن البعض لا يفهم ما قيل، خاصةً وأن هذا الزرع، ينبت في السماء (زرع المحبة). لكن إن أردنا فمن الممكن لنا أن نبذر بذاره. لذلك فقد تعلُمنا أن نخاطب الآب السماوي ونقول "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"[16].

المحبة وعمل الرحمة:

إذًا ينبغي أن نؤمن ونصدق، أنه بإمكاننا أن نكتسب مثل هذا الصلاح، وبكل تأكيد هذا أمر ممكن، إن كانت نفوسنا مُتيقظه على الدوام، وليس هذا فقط، بل يمكننا أن نمارس كل فضيلة، إن كانت نفوسنا هكذا يقظه. لأننا مخلوقون بإرادة حرة ذاتية، وغير خاضعين لمصير

---

[16] مت ٦: ١٠.

أعمى إجباري، كما يعتقد البعض، فسواء أردنا أم لم نُرد، فنحن مُخيَّزون إما لفعل الخير، أو فعل الشر، لذلك فإن الله وَعَدَ بملكوت السموات، وهدَّد بالعقاب، فهناك ثمن يُدفَعُ لكل شيء يُمارس بحرية، خيرًا كان أم شرًا. ما كان لله أن يضع وصايا، وأن يُقدم نصائح، إن كنَّا مُقيدين بسلسلة المصير الأعمى. لكننا ونحن أحرار، ونملك إرادتنا، فإننا قد نصير أشرارًا بسبب عدم اكتراثنا، او أخيارًا بسبب الإهتمام الشديد بمحبة الآخر، لذلك فقد أوجد الله هذه الأمور: الخوف من الجحيم، وإنتظار ملكوت الله، كأدوية لإصلاحنا، وتغييرنا، حتى يكون لنا فكرًا مستنيرًا. فمن الواضح أنه لا المصير الأعمى، ولا البحث في الطالع، ولا الخلق، ولا النجوم المدارية، هي التي تقودنا، وتوجه حياتنا. فإن كان كل ما يحدث يعتمد على هذه الأشياء وليس على إرادة البشر، فلماذا تجلد العبد الذي يسرق؟ ولماذا تجرّ المرأة التي سقطت في الزنا إلى المحكمة؟ ولماذا تخجل، كما لو كانت تفعل ما لا يُسمح به؟ ألا تتألم عندما يتهمونك بإنك زوج غير مؤمن، او زانٍ، أو ثمل، أو أي شيء مثل

هذا، معتبرًا إن هذه إهانة؟ وإن لم يكن في إختيارك الحر أن تُخطىء، فإن ما حدث، لم يكن له أن يُشكّل جريمة، ولا ما قيل، يُشكّل إهانة. لكن الآن، وأنت لا تُسامح مَن يُخطىء، بل وأنت نفسك تخجل من نفسك عندما ترتكب أفعالاً شريرة، وتحاول أن تحتفظ بها سرًا، حتى لا يعلم أحد عنها شيئًا، وتعتبر أن كل مَن يُكلمك عن هذه الأمور، أنه يُهينك. وهكذا تعترف من خلال كل هذه الطرق، أن حياتنا غير مرتبطة بالجبر والإلزام، بل هي مكرَّمة بحرية الإرادة. لأننا نعرف كيف نُسامح أولئك الذين هم تحت قهر أو إجبار، فلو أن هناك شخصًا قد أَسره الشيطان، وقام بتمزيق ملابسنا، أو إعتدى علينا بالضرب، فليس فقط لن نُعاقبه، بل وسنشفق عليه أيضًا، ونسامحه. ترى لماذا؟ لأن حرية الإرادة عنده مفقوده، إذ الشيطان هو الذي جعله أن يفعل كل هذا. هكذا فلو أن الخطايا الاخرى قد حدثت بسبب ضرورات المصير الأعمى، فإننا سنصفح عنها. ولأننا نعرف أنها ليست نتيجة إجبار أو إكراه، لذلك لا نسامح، فأصحاب العمل لا يصفحون عن خطأ العمال حين يخطئون، والأزواج لا

يُسامحون الزوجات عن سقطاتهن، والزوجات لا يسامحن الأزواج عن إنحرافهم، والآباء لا يصفحون عن زلات أبنائهم، والمعلمون لا يسامحون تلاميذهم عن أخطائهم، والحكام لا يسامحون المحكومين عن جرائمهم، بل نصير فاحصين قساة، ومُعاقبين لكل مَن تجرأ على فعل الخطية، ونرفع قضايا، ونفرض عقوبات، ونتنازع ونفعل كل شيء، حتى نُخلصهم من الشرور. هكذا فإننا فيما يخص أبناءنا، نحضر لهم معلمين ومربين لتعليمهم، ونرسلهم إلى المدارس، ونهددهم إن لم يسلكوا بإستقامة، ونؤدبهم، ونستخدم وسائل مساعدة أخرى، حتى يصيروا صالحين. إذًا لماذا يحتاج الأمر لجهد وتعب، حتى تتحقق الفضيلة؟ لأنه إن كان هناك شخصًا مصيره أن يصير صالحًا، فإن مثل هذا الإنسان، حتى وإن غطّ في نوم عميق، سيكون صالحًا. لكننا لا نستطيع بالطبع أن نقول إن الإنسان صالحًا، إذا كان مجبرًا على ذلك. ولماذا يحتاج المرء إلى جهاد وتعب، حتى يتجنب الخطية؟ لأنه لو أن شخصًا مصيره أن يصير شريرًا، فمهما مارس من أتعاب لا حصر لها، فإنه سيصبح شريرًا.

لكننا لا نستطيع بالطبع أن نقول عن إنسان إنه شرير، إن كانت الظروف هي التي دفعته لفعل الشر. مثل المأسور بأرواح شريرة، وسنستخدم نفس المثل مرة أخرى، فحتى وإن أهان، أو ضرب، فلن نقول عنه أنه شتَّام، ولن نحاسبه على هذا الفعل، لأنه إنما يفعل ذلك تحت تأثير ضغط الشيطان. هكذا الإنسان الشرير لو أن المصير الأعمى قد دفعه لذلك، فينبغي أن لا نصفه بأنه شرير، فلو أننا إعتبرنا هذا أمرًا طبيعيًا، فستصبح كل أمور حياتنا ملتبسة ومختلطة، ولن يعد هناك شيء يُدعى فضيلة ولا خطية، ولا فنون، ولا قوانين، ولا أي شيء آخر من الأمور المماثلة. ومن ناحية أخرى، لماذا نهتم كل هذا الإهتمام الكبير، كما لو كنَّا قد مَرضنا، فننفق أموالاً، ونستدعى أطباء، ونأخذ أدوية، ونبتعد عن بعض الأطعمة، ولا نُشبع رغباتنا؟ لأنه لو كانت الصحة والمرض، تعتمدان على الحظ الأعمى، سيكون إنفاقنا للمال أمرًا لا لزوم له، ولا ضرورة لإستدعاء الطبيب، ولا لأن يتبع المريض نظامًا خاصًا ودقيقًا في تناول الطعام. لكن الآن بالإضافة للأمور الآخرى، نتأكد أنه لا شيء من

كل هذايخلو من ضرورة ملحة لوجوده، بل بالأحرى لا يجب أن تكون أمور حياتنا، مرتبطة بخرافة الحظ أو المصير الأعمى. لأن حياتنا ليست موضوعة تحت أي إكراه أو إجبار، بل كل شيء كما سبق وقلت، يخضع لحرية الإرادة، لقد كَرَّم الله، الإنسان بهذه الحرية.

المحبة وممارسة الفضائل:

ولنا أن نتحدث عن الكثير من الجوانب في هذا الموضوع، ولكن يكفي هذا لأصحاب العقول والمنطق، حتى نتجنب فعل الشر، ولنختار طريق الفضيلة، لكي يَثْبُت من خلال ممارساتنا، أننا نملك فكرًا حرًا، وإرادة تجاه كل ما يقدم لنا، حتى لا نخجل من أنفسنا في اليوم الذي ستُكشف فيه أعمالنا " لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا"[١٧]. أترجاكم لنضع في إعتبارنا ذلك القضاء المخوف، ولنتخيل أن الديان العادل يجلس أمامنا الآن، وأن كل شيء عريان

---

[١٧] ٢كو٥: ١٠.

ومكشوف أمامه، لأنه ليس فقط، أننا ستُعرض حتماً على هذا القضاء، بل أيضاً ستُكشف كل أمورنا. إذًا ألا تخجلون؟ ألا تقشعرون؟ ألا تفضلون أن نحزن ونتألم آلاف المرات، على أن تَظهر ذنوبنا الخفية أمام أحباءنا؟ كيف سنتصرف ماذا سنفعل وقتئذ، عندما ستُكشف خطايانا أمام كل الملائكة، وكل البشر، وستطرح أمام أعيننا؟ لأن المرنم يقول: "أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ"[١٨]. وإن كانت هذه الحقيقة غير ماثلة الآن بعد، لكننا نفترض إنها ماثلة، ونصِفها بالكلام، وأنها تُكبِل ضميرنا، فماذا ستفعل عندما يأتي وقت الدينونة، عندما ستكون كل المسكونة حاضرة، عندما يكون كل الملائكة، ورؤساء الملائكة، والرئاسات، والقوات، وأصوات الأبواق التي لا تنقطع تتردد معًا، والأبرار يُختطفون على السحاب، وبكاء ونواح الذين أخطأوا، كثير؟ أي خوف ذلك الذي سيملك على الذين ظلوا على الأرض؟ لأن الكتاب يقول: "حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ،

---

[١٨] مز ٥٠: ٢١.

يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ"[19]. كيف ستكون الحالة النفسية التي لأولئك عندما يرون أن هناك مَن سيؤخذ بعيدًا بكرامة كبيرة، بينما الآخرون سيُتركون في خزي كبير؟ صدقوني، أنه من غير الممكن أن أعرض للألم الذي سيكون، بالكلام. هل رأيتم أناسا يأخذونهم لكي يقدمونهم للموت؟ كيف تتصورون حالتهم النفسية، عندما يسيرون في الطريق المؤدي للنار؟ أَلا يكون لديهم الإستعداد لتحمل أنواع الآلام غير المقبولة لديهم، حتى يتخلصوا من تلك الظلمة؟ لقد سمعت كثيرين من هؤلاء، أنه بسبب محبة الملك للبشر، بعدما أخذوهم، أرجعوهم ثانيةً، فوصفوا حالتهم، وقالوا إنهم لم يكونوا يرون البشر كبشر، بل إن نفوسهم كانت مضطربة وهائجة. ولماذا أذكر أو أشير إلى أولئك الذين إقتيدوا إلى الموت؟ وإن فحص أحد، نفس كل واحد منهم على حِدى بالتدقيق، فليس هناك مَن هو قاسٍ، ومتوحش إلى هذا الحد، حتى يُنكر أن نفس هؤلاء ليست منزعجة أو لم يُصبها القلق والتوتر بسبب

[19] مت ٢٤: ٤٠.

الخوف، والحزن المفرط. وبينما الآخرون يُقتادون إلى الموت، نجد أن الذين كانوا معهم، لا يشعرون بأي شيء، ولا يُحرك الموت فيهم شيئًا، هكذا نحن أيضًا عندما نسلك في الشرور، كيف ستكون حالتنا يا ترى، ونحن مطرودين من تلك المسرة التي لا يُعبر عنها، ومحكوم علينا بالعقاب الأبدي؟ لأنه حتى وإن لم يكن هناك جهنم، فكوننا نُلقى بعيدًا عن هذا البهاء، وهذا المجد، وأن نبقى بلا كرامة، أفلا يُعَد هذا عقاب لا حدود له؟ فإن كان الآن عندما يُقدِم أي ملك إلى مكان ما، يتبعه كثيرون، مُفكرين فقط في عوزهم واحتياجاتهم، فهم لا يشعروا من هذا المشهد المبهج للغاية إلا بالضيق، ويتألمون من حيث أنهم لا ينتسبون للمقربين من الملك، ترى ماذا سيحدث عند الدينونة العتيدة؟ وقد تتصورون أن العقاب الأقل يتمثل في أن لا تُصنَّفوا ضمن هؤلاء المقربين للملك، وأن لا تكونوا مستحقين لهذا المجد الذي لا يُعبر عنه، وأن يُلقى بكم في مكان ما، بعيدًا عن ذلك المحفل الإحتفالي، وتلك الخيرات التي لا تُوصف. ولكن عندما تُوجد ظلمة وصرير أسنان، وقيود لا تنفك،

ونار لا تُطفيء، وضيقات وأحزان، وألسنة مُشققة، كما تلك التي للغني، ألا ينبغي أن نبكي بمرارة، دون أن يسمعنا أحد، وأن نتنهد، ونحتمل الألم، ولا ينتبه إلينا أحد، وأن ننظر إلى جميع الإتجاهات، ولا يوجد أحد على الإطلاق لكي يُعزينا، كيف نصف كل من يُوجد في هذه الحالة؟ وهل هناك ما هو أكثر بؤسًا وتعاسة وشقاء مَن تلك النفوس؟

المحبة والسلوك الحسن:

وإن فكّرنا في السجن ومَن في داخله، سترى أن البعض قد أصابه الإعياء التام فأصبح هيكلاً عظميًا، والبعض مُقيَّدًا بسلاسل حديدية، والبعض الآخر محبوسًا في زنزانه مُظلمة. إن هذه المشاهد تحبس الأنفاس، وتشعرنا بالخوف الرهيب وتخلق لدينا إستعدادًا لفعل كل شيء، حتى لا نقع في مثل هذه الحالة من الألم والضيقة. إذًا عندما نُقتَاد مُقيدين إلى موضع العذاب في جهنم، فكيف سيكون حالنا؟ ماذا سنفعل؟ لأن هذه القيود ليست من حديد، بل من نار، ولن تُطفيء أبدًا، والحراس ليسوا بشر مثلنا، ولا يمكننا ذات مرة أن نجعل

قلوبهم تلين، بل هم ملائكة لا يرحمون، ولا يمكن النظر إليهم، إنهم غاضبون بلا حدود، بسبب ما أرتكبنا من شرور تسيء للرب. ومن غير الممكن أن نرى البعض . كما يحدث هنا على الأرض . وهم يحملون مالاً، أو أطعمة، أو نرى آخرين وهم يتكلمون بكلمات التعزية، التي نجد فيها راحة، وعونًا، ومساندة، فمثل هذه الأشياء مستحيلة هناك. وحتى نوح، أو أيوب أو دانيال، فلا يمكنهم أن يقفوا إلى جانب أقاربهم وهم يُعَاقَبون، أو يمدوا لهم يد المساعدة، لأنه لن يكون هناك مكانًا للرأفة والشفقة التي تمليها علينا طبيعتنا. خاصةً وأن هناك سيلتقي معًا أبناء قديسون، لآباء خطاة، وأبناء صالحين، لوالدين أشرار، لأن الشرور غير مرتبطة بالطبيعة، بل تعتمد على الرغبة النفسية، حتى يكون الفرح غير المحدود في هؤلاء غير متأثر بشيء، وأن لا يذوبوا ألما بسبب ما تفرضه عليهم الشفقة والرافة، وحتى يمكنهم أن يتمتعوا بخيرات الدهر الآتي. وقد يحدث أن يُعاتب هؤلاء الرب، بسبب ما سيحدث لأحبائهم من الأقارب، وإن كان البعض الآن، عندما يرون أبناءهم يسلكون بلا

ضابط أخلاقي، ينفرون منهم، ويقطعونهم من العائلة، فبالأكثر جدًا سيحدث هذا وقت الدينونة الأخيرة. إذًا ينبغي ألا ينتظر أحد، شيئًا صالحًا، إن لم يكن قد عاش بالفضيلة وسلك حسنًا، حتى وإن كان له آلاف الأسلاف من القديسين. لأن " كل واحد ما سينال ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا". أرجو أن نسمع هذا، ونتعقل. إن كان لديك أيها الخاطئ رغبة مشتعلة، فكّر في تلك العقوبة التي تنتظرك، فهذه النار التي في هذه الحياة، تذهب، وتنطفيء تمامًا. إن أردت أن تتكلم، كلامًا غير لائق، فكّر في صرير الأسنان، وسيكون الخوف من العقاب لجامًا لك. وإن أردت أن تخطف وتسلب، إسمع الديان الذي يقول لك: " ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ"[٢٠]، وستنزع هذه الرغبة من جذورها. إن كنت مُتوحشًا، وبلا قلب، تذكّر العذارى الجاهلات اللآتي كانت مصابيحهن مُنطفئة، إذ لم يكن فيها زيتًا، وبقين خارج غرفة

---

[٢٠] مت ٢٢:١٣.

العرس، وحينئذٍ ستصبح مُحبا للناس على الفور. فإن ملتَ إلى المتع، والسكر، إسمع الغني الذي يقول "وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ"[21]، وعندما لا يتحقق لك هذا المطلب. ستبتعد عن الشهوة سريعًا، وستتمكن بهذه الطريقة أن تُحقق نجاحًا متواصلاً.

لأن الله لم يأمر بشيء لا يمكن حمله. إذًا ما الذي يجعل الوصايا تبدو ثقيله إلى هذا الحد؟ إن ذلك يرجع إلى لا مبالاتنا. فكما أنه لو كان لدينا إهتمامًا نشطًا نحو تنفيذ الوصايا، فإن ما قد يبدو ثقيلاً، سيُصبح خفيفًا وسهلاً، أما إذا ساد علينا التكاسل فإنها حتى وإن كانت بعد سهلة الحمل، ستبدو لنا أنها صعبة. إذًا عندما نفكر في هذه الأمور، فينبغي إن لا نُطوب أولئك الذين يقضون حياتهم في رغد العيش والترف، بل لننظر إلى نهايتهم، ونضع هذا في إعتبارنا. في هذه الحياة توجد نفايات، وأجسام ممتلئة، وديدان وحشرات، ونار لا تُطفيء، هنا في الحياة الحاضرة إهتمامات كثيرة،

---

[21] لو١٦:٢٤.

ومشقات، أما هناك ما في الدهر الآتي فتوجد قيود لا تنفك، وظلام دامس، هنا إستعباد، ولهث، بينما هناك خسارة فادحة، متمثلة في لهيب نار مستمر. إذا أدركنا ذلك، فإنه من خلال هذه الأمور، والأمور المشابهة لها، سنتصدى بصفة دائمة لرغباتنا وشهواتنا الشريرة، وسنتجنب الخطية على الفور، وسنمارس الفضيلة، وستُمحى محبة أمور الدنيا الزائلة من قلوبنا، ونهتم فقط بأمور الدهر الآتي. لأنه ما هو الحقيقي المؤكد في هذه الأمور الدنيوية، وما هو الأمر غير العادي والرائع في هذه الأمور، حتى نهتم بها كل هذا الإهتمام؟ ألا نرى أن نفس الشيء يتكرر، ويعود مرة أخرى إلى ما كان عليه، مثل النهار والليل، الليل والنهار، والشتاء والصيف، الصيف والشتاء، ولا أكثر من ذلك؟ إذاً فلنشعل الشوق تجاه خيرات الدهر الآتي، لأن هناك مجد عظيم ينتظر أولئك الذين عاشوا بالفضيلة الذين لم يشهدوا بالكلام فقط، خاصةً وأن أجسادهم بعد القيامة ستلبس عدم الفساد، وستتمجد، وسيملكون مع المسيح.

المحبة وأمجاد الدهر الآتي:

وما هو المثير للإهتمام في هذا؟ سنعرف ذلك إنطلاقًا من هذه الحياة الحاضرة، سندرك ذلك من خلال الخيرات التي ننالها في هذه الحياة، بعدما نبدأ ونسمو بأفكارنا، لكي نلتقط فكره واضحة. وسأحاول قدر ما أستطيع أن أجعل ما طُرح مفهومًا وفي متناول الجميع. أخبرني لو أنك وصلت لمرحلة الشيخوخة، وكنت تعيش في عوز، وأتى شخص ووعدك بانه سيجعلك الآن شابًا عفيًا، وقويًا للغاية، وجميلاً، بل وأكثر جمالاً من الجميع، وأن يجعلك ملكًا على الأرض لألف عام، وتملك في سلام كامل، فما الذي لن تفعله وتفضله بشأن هذا الأمر؟ إذًا ها هو المسيح له المجد، يَعِدْ ليس بهذه الأمور فقط، بل بما هو أعظم من ذلك بكثير. لأن المسافة بين الفساد وعدم الفساد، هي أعظم بكثير من المسافة بين الشيخوخة والصبا، وأن الفارق بين المجد الدنيوي، ومجد الدهر الآتي، أعظم بكثير، فما هو بين الملك والعوز، الفارق يقاس بقدر إتساع الهوة بين الحلم والحقيقة. لكن من الواضح، أني لم أقل بعد

شيئًا، خاصةً وأنه لا توجد كلمات تستطيع أن تُعبّر عن عظم الفرق بين أمور الحياة الحاضرة، وخيرات الدهر الآتي. بل إننا لا نستطيع أن ندرك مدى هذا الفرق، بسبب عامل الزمن. فكيف يمكن للمرء أن يُقارن بين الأمور الدينوية في هذه الحياة، مع حياة أخرى أبدية ولا نهاية لها؟

وفيما يتعلق بالسلام، أي سلام الحياة الحاضرة، وسلام الدهر الآتي، ستجد أن الفرق شاسع، بقدر ما هو الفرق بين السلام والحرب. كما إن الفرق بين الفساد وعدم الفساد، هو بقدر الفرق بين الماسة النقية، وكتلة الطين. لكنني أعتقد أنه مهما قال المرء، فلن يستطيع أن يصف خيرات الدهر الآتي. لأنه إن قارنت، تحت نور أشعة الشمس، ما سيكون عليه جمال الأجساد في ذلك الوقت، وبين البرق الذي يلمع في السماء، فلن أجد شيئًا مقابلاً على الإطلاق لوصف ذلك البهاء الذي سيكون عليه في الدهر الآتي. كيف للمرء إذًا أن لا يقدم أموالاً، ليستر أجسادًا، إذا كانت كل هذه الخيرات تنتظرنا. إذًا ألا يستحق أن يقدم المرء، اموالاً، بل وذاته أيضاً؟ بل

أَلا يستحق ذلك أن نقدم حتى نفوسنا؟ والآن إذا أتاح لك أحد فرصة لقاء أحد الملوك في قصره لتتحدث معه أمام الجميع وتتناول الطعام معه، أَلا تقول لنفسك، أي حظ سعيد هذا الذي نالني أكثر من الجميع؟ لكن عندما ستصعد إلى السماء، وتقف إلى جوار ملك الملوك ذاته، وتشرق ببهاء بين الملائكة وتكون مثلهم، وتتمتع بالمجد الذي لا يُعبّر عنه، فهل تتحير ما إذ كان ينبغي أن تقدم مالاً، بل أن تقدم حياتك، إن إحتاج الأمر ذلك، وأنه يجب أن تتهلل وتقفز فرحًا، وتنتعش مُبتهجًا؟ وأنت لكي تربح السلطة التي تمنحك الدافع للسرقة (و هذا لا أدعوه أنا ربحًا)، إذ تُحرم من ممتلكاتك، وتستدين أموالاً من الغير، وإن إحتاج الأمر، لا تتردد أبدًا أن تضع زوجتك وأولادك رهنًا، حتى ترد هذه الأموال. لكن عندما يكون ملكوت السموات أمامك، وأيضًا السلطة التي ينالها أي أحد آخر، هل تفتر، وتتراجع، وتفقدها من أجل المال؟ فإن كانت الأجزاء المرئية من السماء التي أمامنا هي جميلة بكل هذا القدر، وممتعة، ومُبهجة، فكم تكون التي أعلى

منها، أليست أكثر جمالاً، وكم تكون سماء السموات؟

وإذا كان من غير الممكن أن ترى كل هذا بالأعين الجسدية، فلتصعد بفكرك، وبعدما تقف في السماء غير المرئية، إرفع عينيك إلى السماء التي تعلوها، إلى الأرتفاع الذي لا نهاية له، إلى النور الذي لا يُعبَّر عنه، ولا يُدنى منه، إلى خورس الملائكة، وصفوف رؤساء الملائكة، إلى القوات الآخرى غير الجسدانية. ولتعود مرةً آخرى إلى صورة حياتنا الأرضية، وبعدما تهبط من هذا العلو أو هذا السمو، صف لي الأجواء التي تحيط بالملك الأرضي، على سبيل المثال: ستنظر رجال يرتدون ملابس مُذهبة، وبعض الخيول البيضاء مُزينة بالذهب، وعربة مُرصعة بالأحجار الكريمة، وستائر تتحرك حوله، وتماثيل، ودرعا لها عيون ذهبية، وخيولا برداء ولجام ذهبي. لكننا عندما نكون في رفقة الملك، لا نرى أي شيء من كل هذا، لأنه هو وحده الذي يجذب إنتباهنا، بملابسه الأرجوانية، والتاج، والعرش، والأحذية اللامعة. إذاً بعدما تنظر إلى كل هذا،

أصعد مرة أخرى بفكرك إلى أعلى، وضع في إعتبارك ذلك اليوم المخوف الذي ستقف فيه أمام المسيح. وقتها لن ترى الخيول، ولا العربة المزينة بالذهب، ولا تماثيل، ولا دروعا، بل سترى ما يُثير الرعب والخوف، حتى أن قوات السموات تتزعزع، لأن الكتاب يقول: "وقوات السموات تتزعزع"[٢٢]. وحينئذ ستنفتح السماء، وسينزل إبن اله وحيد الجنس، مُحاطًا لا بعشرين أو مائة، بل بآلاف وعشرات الآلاف من الملائكة ورؤساء الملائكة، وسيكون الجميع مملوئين بالخوف والرعب، وستنشق الأرض وتُفتح، وسيقوم كل البشر من آدم حتى ذلك اليوم، وسيُختطفون، وسيُستعلن إبن الله في مجده، حتى أنه سيختفي نور الشمس والقمر، لأن بهاء هذا المجد سيُلاشي هذا النور. الويل لنا إذ قد فقدنا الحس، لأنه رغم كل هذه الخيرات التي تنتظرنا، لازلنا نُصّر على أن نفقدها، لأننا نتمسك بأمور هذه الحياة الحاضرة، ولم ندرك بعد حيَل الشيطان الشريرة، والذي يجعلنا نسعى في طلب أمور

[٢٢] مت٢١:٢٩.

دينوية زهيدة، حتى نفقد الأمور العظيمة (اي خيرات الدهر الآتي)، ويُعطينا ترابًا، لكي يسلبنا السماء، ويظهر لنا الظلال، حتى يبعدنا عن الحقيقة، ويخدعنا بالأحلام (لأن هنا هو الغنى الوقتي)، حتى أنه عندما يطلع النهار، يتركنا في فقر لا حد له. إذًا أيها الأحباء، بعدما نعرف هذه الأمور، لنتجنب هذا الخداع، حتى ننجو من الإدنة، حتى لا يقول لنا الديان: " إذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ"[٢٣].

المحبة وإنتظار الدينونة:

إلا أن الله يُحب الإنسان، ولن يفنيه. وهل هذا كُتب بدون سبب؟ يقول لا. بل كُتب فقط كإنذار، حتى نتعقل في سلوكنا. إذًا، إن لم نتعقل، بل ظللنا هكذا أشرارًا، ألا يفرض علينا العقاب؟ أخبرني ألا يعوض الصالحين بالمجازاة؟ يقول نعم. لأن هذا هو ما يجب أن يتحقق، بل هو يُقدم إحسانًا للمرء، فوق ما يستحقه. فهذه المكافأت حقيقة، وستحدث في كل الأحوال، ولكن ألا ينطبق ذلك على كل ما هو

---

[٢٣] مت٢٥: ٤١.

مرتبط بالعقوبات؟ آه من هذه الشرور التي يبتدعها الشيطان، لأن هذا الفكر، يأتي من الشيطان، فهو يُقدم نصيحة غير نافعة، ويجعل البشر كسالى. ويعرف أن الخوف من العقاب مثل لجام، يضغط على نفوسنا، ويوقفها عن فعل الشر، هو يفعل كل شيء، ويبتدع شرورًا كثيرة، حتى ينزع الإنسان من جذوره، هكذا وبدون خوف، نذهب إلى الإنحدار، ونسقط في هوة سحيقة. إذًا كيف سنغلبه؟ الحقيقة أننا مهما تكلمنا من الأسفار المقدسة، سيزعم المعارضون، أن المكتوب هو للتهديد فقط. بل إن المرء يمكن أن يتكلم بهذا عن أمور الدهر الآتي، وبجحود كبير. لكن ماذا سيقولوا عن الأحداث التي حدثت بالفعل وأنتهت. فلنسألهم إذًا: هل سمعتم عن الطوفان وهذا الإبادة الجماعية؟ وهل هذا قيل، لأجل التهديد فقط؟ ألم يحدث؟ ألم يتحقق؟ ألم تُناديه جبال أرمنيا، حيث إستقر الفلك هناك؟ ألم تُنقذْ بقايا الفلك، وتبقى حتى الآن، حتى تذكّرنا بما حدث؟ لقد قيل الكثير آنذاك على مدى مائة عام، بينما كان الفلك يُعَد، والأخشاب تُصنَع، ونوح البار يصرخ، ولم يكن هناك أحد ليصدق. إذ أنهم

لم يُصدقوا التهديد الذي قيل بالكلام، لذلك نالهم العقاب في الحقيقة، وإلى الأبد. بعد كل هذا، فإن ذاك الذي عاقب الناس آنذاك بالطوفان، ألَا يُعاقب بما هو أكثر؟ لأن الشرور التي تحدث الآن، ليست بأقل أبدًا من الشرور التي حدثت آنذاك. لقد حدث إختلاط، وتزواج غير شرعي. يقول الكتاب "رأى بنو الله أن بنات الناس حِسان فتزوجوا منهم كل من أختاروا"[٢٤]. ولكن الآن ليس هناك اي شكل من أشكال الخطية، أو أي نوع من أنواع الخطية، سيبقى بلا عقاب.

بل وإن أردتم، سننتقل بالحديث لأنواع أخرى من العقاب، حتى أنه من خلال ما حدث، يكون الإيمان بالدهر الآتي راسخًا. هل سافر أحدكم إلى فلسطين؟ يبدو لي أن هذا قد حدث. إذًا أنتم تشهدون للحقيقة التي قلناها. فيما وراء أشكالون، وغزة تحديدًا، ينتهي نهر الأردن، حيث كانت هناك أرضًا خصبة، كجنة الرب، لأن الكتاب يقول: "فرفع لوط عينيه فرأى وادي الأردن.. ريان كله

---

[٢٤] تك٦: ٢ (س).

كجنة الرب"[٢٥]. لكن هذه الأرض الآن، هي أكثر قفرًا وجدبًا من الصحاري كافة. بالطبع هناك أشجار، وهي تُخرج ثمارًا، لكن الثمار تُذكّرنا بغضب الله. أي أن هناك رمان، له شكل رائع من الخارج، ويبدو لمن لا يعرف، أنه جيد للأكل، لكن عندما يأخذه في يده ويكسره، فلن يجد حبات الرمان داخله، بل تراب ورماد كثير. هكذا هو الطين، وهكذا هي الصخور، وهكذا الهواء ذاته، كل شيء محترق. حقًا إنه يذكّرنا بالغضب الذي سبق، ورسالة سابقة تُنبى بالعقاب في الحياة الأبدية. وهل يعتبر كل هذا تهديدا بالكلام؟

وهل هذا هو دويّ فرقعات لبعض الكلمات؟ مَن لا يؤمن بجهنم، وما حدث في سدوم، فليفكر في عمورة، ليضع في إعتباره العقاب الذي حدث بالفعل، ولا تزال آثاره قائمة حتى الآن. الأمر الذي تَقصّه أو ترويه الأسفار الإلهية عن الحكمة، إذ تقول: "وأنقذت الحكمة رجلاً صالحاً بالهرب من النار التي هبطت فأهلكت الأشرار في المدن الخمس. وإلى الآن

---

[٢٥] تك١٣: ١٠(س).

يشهد على شرهم أرض محروقة تصاعد منها الدخان. ونبات يثمر ثمرًا لا ينضج[٢٦]. هناك ضرورة لأن نتكلم عن الأسباب التي لأجلها، قد عانوا من هذا العقاب. أمر واحد هو الذي فعلوه، بالطبع كان مُرعبًا وملعونًا، لكنه في كل الأحوال هو فعل واحد. سلموا أنفسهم للمثلية الجنسية، لذلك إحترقوا بمطر ناري (أمطرت عليهم السماء نارًا). لكن الآن يحدث ما هو أكثر من ذلك آلاف المرات، وبصورة أكثر فزعًا، لكن مثل هذا الإحتراق، لم يحدث. لماذا؟ لأن هناك نار أخرى مُعدة، لن تنطفىء أبدًا. لأنه إذا كان ذاك الذي إرتكب خطية واحدة، قد أثار غضب الله بكل هذا القدر، ولم يقبل تضرّع إبراهيم، ولا لوط الذي كان يسكن هناك، قد إحتَسَبَ له، بسبب كل هذه الخطايا التي إرتكبت، فهل هناك سيتألم لأجلنا أو هل سيشفق علينا؟ لن يحدث هذا.

لكن لا يجب أن نقف عند هذا الحد، ولنُشر إلى آخرين قد عُوقِبوا، حتى أنه من خلال إثباتات كثيرة

---

[٢٦] سفر الحكمة ١٠: ٦، ٧.

تؤكد على ما قيل. سمعتم جميعًا عن فرعون، ملك المصريين، تعرفون بالطبع كيف غرق، كيف أنه بعرباته، وخيوله، وكل جيشه، قد غرق في البحر الأحمر وهلك، بل واليهود أيضًا الذين أخطأوا قد نالتهم عقوبات كثيرة، ولكي تعرفوا ذلك، إسمعوا الرسول بولس الذي يقول: "ولا تزن كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفًا. ولا نجرب المسيح كما جرب أيضًا أناس منهم فأهلكتهم الحيات ولا تتذمروا كما تذمر أيضًا أناس منهم فأهلكهم المهلك"[٢٧].

المحبة تصدِّق كل شيء:

فإن كان أولئك اليهود قد أصابهم كل هذا، بسبب خطاياهم، فماذا سيصيبنا نحن؟ لكن الآن، لن يُصبنا شيء مُرعب، ولهذا تحديدًا ينبغي أن نفزع ونخاف. لأننا نعرّض أنفسنا للغرق بسبب عدم الإحتراس، إننا نتعرض لأسوأ أنواع الغرق، إن لم نُغيّر حياتنا. بالطبع لم يعرف أولئك جهنم، لكنهم نالوا عقابهم هنا في الحياة الحاضرة. لكن نحن

---

[٢٧] ١كو١٠: ٨-١٠.

حتى وإن لم نُصب بشيء مؤلم في هذه الحياة الحاضرة، بسبب ما أرتكبنا من خطايا، إلا أننا سننال عقابنا في حياة الدهر الآتي. لأنه هكذا سيكون أمرًا منطقيًا، فبينما يحمل أولئك عقلاً طفوليًا، فإن عقابهم سيكون هكذا بقدر تفكيرهم، أما نحن الذين قبلنا التعليم الكامل، ومع ذلك كنَّا سببًا في إرتكاب خطايا أسوء بكثير من أولئك، هل سننجو من العقاب؟ هل ترغبون في أن تسمعوا عن الكوارث الأخرى التي أَلَمّت بهم، عن كل ما عانوه من آلام في فلسطين، من البابليين، والأشوريين، والمكدونيين؟ وماذا عن المجاعات، والأمراض، والأوبئة، والحروب، والأَسر في زمن تيطس، وفسباسيانوس؟ أقروا كتاب يوسيبوس[٢٨]، عن سقوط أورشليم، وستعرفوا تفاصيل تلك المأساة الحزينة. بالإضافة إلي الشدائد والمصاعب الأخرى، والتي إنتهت بمجاعة كبيرة، حتى إنهم أكلوا أحزمتهم وأحذيتهم، بل وأكلوا ما هو أكثر سؤًا من هذه الأشياء. لأن الضرورة أجبرتهم أن يأكلوا أي

---

[٢٨] يوسيبوس، مؤرخ يهودي (٣٧ . ١٠٠م)، كتب باليونانية، ومن أهم أعماله: الحرب اليهودية، علم الآثار اليهودية.

شيء، كما يُشير الكاتب إلي ذلك في أحد المواضع من كتابه، لكنهم لم يتوقفوا عن هذا الحد، بل إنهم أكلوا أبناءهم أيضًا. إذًا بينما أولئك قد دفعوا ثمنًا غاليًا، كيف سننجو نحن الذين قد إرتكبنا شرورًا أكثر من أولئك؟ فإن كانوا هم قد عُوقِبوا آنذاك، فلماذا لا نُعَاقَب نحن الآن؟ أليس واضحًا لفاقد البصر، ما ينتظرنا من عقاب، كما قلت مرارًا وتكرارًا؟ ينبغي أن نُفكر بالأكثر، فيما يحدث الآن في هذه الحياة، وهكذا لا نتشكك بالنسبة للعذاب في جهنم. فإن كان الله، عادلاً، ولا يُحابي، كما هو كذلك بالتأكيد، فلماذا يدفع البعض ثمنًا، هنا في هذه الحياة، عن ما إرتكبوه من أعمال قتل، وآخرون لا يدفعون هذا الثمن؟ لماذا يُعَاقَب البعض من الزناة، والبعض الآخر يرحلون من هذه الحياة، بلا عقاب؟ كم من ناقبي القبور، كم من اللصوص، كم من الجشعين، كم من الخاطفين، قد أفلتوا من العقاب. فإن لم توجد جهنم، فأين سيُعَاقَبون عما إرتكبوا؟ تُرى هل نستطيع أن نُقنع المعارضين، أن هذا الكلام، ليس أسطورة أو خرافة؟ هذا الكلام هو حقيقي إلى أبعد

حد، حتى أنه ليس نحن فقط، بل شعراء، وفلاسفة، وخطباء، تحدثوا عن المجازاة في حياة الدهر الآتي، وأن الخطأة سيُعَاقبَون في الجحيم. لذلك فإن كان كل ما هو مرتبط بالعقاب في الجحيم، هو أمر حقيقي، وهو كذلك بالطبع، ما كان لهم أن يتكلموا فيه، خاصة وأنهم أخذوا الدافع، من أفكار كانت مطروحة، ومما سمعوا منّا من أقوال متناثرة، ومع ذلك رسموا صورة ما للدينونة، سواء عن أنهار النار التي تُحيط بالجحيم، والهوة العميقة أسفل الجحيم، والعذاب الذي ينتظر الأشرار. وعلى الجانب الأخر رسموا صورة للفردوس، عن نباتات لها رائحة طيبة، ونسيم رقيق يُحيط بالمكان، ومجموعات تحيا هناك، يرتدون ملابس بيضاء، ويرنمون تسابيح معينة، وبالإجمال فإن الصالحين، والطالحين، ينتظرهم حساب، عما فعلوه، عندما يرحلون من هذه الحياة.

إذًا ينبغي أن لا نتشكك في وجود جهنم، حتى لا يكون مآلنا هناك. لأن مَن لا يؤمن ولا يصدق في هذا، سيصبح خاملاً أو كسولاً والذي يتصف بهذه

الصفة (الكسل)، سيذهب مباشرة إلي هناك. لكن عندما نؤمن بهذا الأمر دون تردد، ونتكلم عنه بإستمرار، فلن نسقط هكذا في الخطية. لأنه عندما يتذكر المرء مثل هذا الكلام، يشبه مَن يتناول دواءًا مُرًا؛ لكنه سيمتص بإستمرار كل شر ينزل إلي النفس. إذًا لنستخدم نحن أيضًا هذا الدواء، حتى أننا عندما نتنقى تمامًا، نكون مستحقين لرؤية الله، على قدر ما هو ممكن للبشر أن يروه، وأن ننال خيرات الدهر الآتي بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد والكرامة من الآن وإلي الأبد إمين.

العظة الثانية

. الذين يحبون الله .

فهرس المحتويات

للمخاطر والشدائد والمكائد والضيقات، هذا ما أشار إليه سفر الأعمال « فقام الجمع معًا عليهما ومزق الولاة ثيابهما وأمروا أن يُضربا بالعصي فوضعوا عليهما ضربات كثيرة وألقوهما في السجن وأوصوا حافظ السجن أن يحرسهما بضبط» (أع١٦: ١٩ـ٢٣). هكذا ترك الله رُسله يتعرضون لكل هذه المصاعب والشدائد، فقد سمح بأن يُجلد بولس وسيلا ويُلقى بهما في السجن. لكن هنا تحديدًا ظهرت قوة الله، كما يقول هو ذاته «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح» (٢كو ١٢: ٩ـ١٠). هكذا حوَّلت نعمة الله هذه الضيقة الشديدة التي تعرض لها بولس وسيلا إلى خير لهما، فلم ينشغلا أبدًا بالالآم كما هو واضح، إذ كانا يصليان ويسبحان الله، وتحوّل السجن إلى كنيسة، وتقدس المكان كله بالصلاة والتسبيح. فقد دخل صوت التسبيح المقدس إلى نفس كل مسجون وأعاد تكوينه مرة أخرى. لأن العزاء قد شمل الجميع، فهذا التسبيح فك قيود المسجونين أيضًا، وفتح أبواب

السجن. لقد صار السجن، والضربات، والقيود، سببًا للخير ودافعًا لتحقيق النصرة.

نص هذه العظة موجود في مجموعة الآباء اليونانيين (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي سنة ١٩٧٣ المجلد رقم ٢٦، ص٥١٩-٥٤١.

ليهبنا المسيح إلهنا سلامه وينير بنور وجهه قلوب كل البشر لخلاصهم وحياتهم، بشفاعة والدة الإله العذراء القديسة مريم، وصلوات القديس يوحنا ذهبي الفم، وصلوات كل الآباء القديسين، وصلوات صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني. والمجد والتسبيح والسجود لإلهنا الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

تمهيد

يتكلم الرسول بولس هنا عن أولئك الذين يتعرضون للمخاطر، وليس هذا فقط، لكنه يُشير أيضًا إلى الأمور التي قيلت قبل هذا. لأن القول بأن «آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» وأن « كل الخليقة تئن» وقوله: «بالرجاء خلصنا» و«نتوقعه بالصبر» و «لسنا نعلم ما نصلي لأجله»[٢٩]. كل هذه الأقوال قيلت للذين يتعرضون للأخطار، فهو يُعلّمهم بألا يعطوا اهتمامًا أكثر للأشياء التي يعتقدون بأنها تحقق منفعة، بل يجب أن يفضلوا عليها الأمور التي هى بحسب الروح. خاصة وأن كثيرًا من تلك الأمور التي تبدو لهؤلاء أنها نافعة تتسبب مرات كثيرة في حدوث خسارة كبيرة. إذًا من الواضح أن الراحة، والتخلص من الأخطار، والحياة في أمان، هى التي يسعى إليها هؤلاء.

والمدهش أنه قد إتضح لهؤلاء أن الأمان ليس في طلب الراحة بالطريقة التي يتصورونها ـ وهذا ما

---

[٢٩] رو٨: ١٨، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦.

حدث للمطوب بولس نفسه. لقد عرف فيما بعد، أن الأمور النافعة هي في تتميم مشيئة الله، وإذ عرف هذا فقد امتثل لهذه المشيئة. وهو الذي تضرع إلى الله ثلاث مرات أن يُخلّصه من الالآم، لكن حين سمع الله يقول: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل»[٣٠]، كان يُسَرْ عندما يُطرَد ويُشتَم ويُعَاني من الآم لا تُشفَى ولهذا قال «أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات»[٣١]. و«لسنا نعلم ما نصلي لأجله»، ونصح الجميع بأن يسمحوا للروح القدس أن يُتمم فيهم مشيئة الله. خاصةً وأن الروح القدس يعتني بنا جدًا.

إذن بعدما أعدَّهم بكل الطرق، أضاف ما سبق وقاله لكي يدفعهم إلى أن يكون لهم فكر مستقيم. لأنه «نحن نعلم أن الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم». لكن عندما يقول «كل» فهو يقصد تلك التي تبدو مؤلمة. لأنه سواء كانت ضيق، أم فقر، أم سجن، أم جوع، أم موت، أم أي شيء

---

[٣٠] ٢كو١٢: ٩.

[٣١] ٢كو١٢: ١٠.

آخر يحل بنا، فإن الله قادر أن يحول كل هذا إلى العكس. لأن هذه هي قوته التي لا تُوصف، أي أن يجعل ما كان يبدو ثقيلاً، خفيفًا لأجلنا، ويحوّله لتثبيتنا. ولهذا تحديدًا لم يقل إن الذين يحبون الله لا يُصيبهم شيئًا، بل إنها «تعمل (معهم) للخير» بمعنى إنه يستخدم هذه الأمور السيئة لمسرة من تُكَاد لهم الدسائس، وهذا ما يُعَد أعظم بكثير من أن يمنع الشرور من أن تأتي، أو أن يمحوها عندما تحدث. هذا ما صنعه في أتون بابل (مع الفتية الثلاثة). لأنه لم يمنع إلقاءهم في الأتون، ولا أطفأ اللهب، عندما ألقوا بهؤلاء القديسين في الأتون، بل تركهم يشاهدون المعجزة التي صنعها معهم.

وقد صنع معجزات مماثلة مع كل الرسل. فإن كان في مقدور أولئك الذين يسلكون بحكمة، أن يحولوا طبيعة الأمور إلى ما هو عكسها، إلا أنهم فضّلوا أن يعيشوا في فقر، وبهذا صاروا أكثر غنى من الأغنياء، وأكثر بهاءً منهم، رغم أنهم لم ينالوا تقديرًا مناسبًا، هكذا سيصنع الله مع أولئك الذين يحبونه، ليس هذا فقط، بل وأكثر جدًا من هذا.

إذًا الأمر يحتاج فقط إلى محبة حقيقية لله، وكل الأمور الأخرى ستتحقق. فتلك الأمور التي تبدو أنها ضارة لهؤلاء، هى في الحقيقة نافعة لهم، أما بالنسبة لأولئك الذين لا يحبون الله، فإن الأمور التي تبدو نافعة لهم، ستكون ضارة. إذًا فقد سبَّب ظهور المعجزات، وأيضًا فلسفة التعليم، واستقامة العقيدة، ضررًا بالنسبة لليهود، فإنهم بسبب هذه المعجزات، زعموا أن الرب يصنعها بقوة الشيطان، بينما كان ينبغي أن يحدث العكس بسبب هذه المعجزات، ولأجل هذه المعجزات شرعوا في أن يقتلوه، أما اللص الذي صُلب معه، والذي سُمِّر، وأُهين، وعانى شرورًا كثيرة، فإنه لم يخسر مُطلقًا، بل بالحرى ربح الكثير جدًا.

أرأيت كيف أن الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم للخير؟ إذًا بعدما تكلم عن هذا النعيم الوافر، الذي يفوق الطبيعة الإنسانية بكثير، والذي يبدو للكثيرين أن تحقيقه أمر مستحيل، هذا قد أكد عليه بقوله: «الذين هم مدعون حسب قصده». إذًا انتبه للدعوة التي قيلت. لماذا لم يدعو الجميع من

البداية، ولا حتى بولس نفسه قد دعاه مع الآخرين مباشرةً؟ ربما يبدو لك أن هذا التأجيل، كان غير نافع؟ كلاً لقد أظهر العكس، من جهة الأمور ذاتها، إن التأجيل كان مفيدًا. لأن الله لا يريد أن يهب كل شيء في الدعوة، فلو حدث هذا، لكان اليونانيون واليهود قد اختلفوا. إذًا لو كانت الدعوة وحدها كافية، فلأى سبب لم يَخلُص الجميع؟ ولهذا يشرح الرسول بولس أن الأمر لا يتعلق بالدعوة فقط، بل أن إرادة أولئك المدعوين كان لها دور في الخلاص. لأن الدعوة لم تكن إجبارية ولا قهرية. فالمؤكد أن الجميع قد دُعيوا، لكن ليس الجميع أطاعوا.

الذين يحبون الله

(كل الأشياء تعمل معهم للخير)

دَيْن المحبة:

أنا قادم إليكم اليوم بعد وقت ليس بالقليل، وينتابني إحساس بأن غيابي عنكم قد طال كثيرًا. فأنا وإن كنت حبيس المكان بسبب مرضي الجسدي، إلا أنني كنت أشعر دائمًا بأنني بعيدًا عن محبتكم. لأن مَن يعرف أن يُحب كما ينبغي، عندما لا يتمكن من التواجد مع مَن يُحب، حتى وإن كان يعيش في نفس المدينة، فلن يشعر البته بحالة أفضل من حالة أولئك الذين يعيشون في بلد غريب، وهذا الأمر يعرفه كل مَن يحب. إذًا فلتغفروا لي غيابي عنكم، لأن هذا الغياب لم يكن بسبب اللامبالاة، بل صمتي هذا كان ناتجًا عن المرض الجسدي. وبالطبع أنا أعرف أن جميعكم يفرح الآن، لأنني تجاوزت المرض وتعافيت، لكنني الآن أنا أفرح لرؤية وجوهكم المحبوبة، والتمتع بمحبة الله في رفقتكم. وكما أن الكثيرين من البشر بعد أن ينالوا الشفاء من المرض، يطلبون زجاجات

وكئوس الماء البارد، هكذا صارت محبتكم بالنسبة لي أكثر عذوبة من أي شيء آخر، وهذا مدعاه لفرحي، ودافع لمسرتي.

إذًا طالما أننا تمتعنا، بمحبة الواحد للآخر بنعمة الله، فينبغي أن أرد لكم دين المحبة، وإن كان هذا الدين لا يمكن رده أبدًا. ولذلك فإن ديني وإلتزامي نحوكم لا حدود له، لأنه بقدر ما يُعطى (هذا الدين)، على قدر ما يزداد أيضًا. وكما أنه فيما يتعلق بالمال، نمتدح أولئك الذين هم غير مديونين بشيء لأحد، هكذا هنا (في مجال الحب) نحن نطوب المديونين بالكثير. لذلك فإن مُعلم المسكونة يكتب قائلاً « لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضًا»[٣٢]، لأنه أراد لنا أن نُسدد هذا الدين دومًا، وأن نظل مديونين به بصفة دائمة، وأن لا ينقضي هذا الإلتزام حتى تنتهي هذه الحياة الحاضرة. وكما أن المدين بالمال يشعر بالثقل والضيق، هكذا فإن غير المدين بهذا الدين (دين المحبة)، يكون مستحقًا اللوم. ولكي تعلم أن الأمر

---

٣٢ رو١٣: ٨.

هكذا يحدث، إستمع إلى حكمة ذلك المعلم المدهش، كيف نصح بهذا الأمر، لأنه بعدما قال «لا تكونوا مديونين لأحد بشيء» أضاف « إلا بأن يُحب بعضكم بعضًا»، مُتمنيا الفائدة لجميعنا، وأن يبقى هذا الدين ثابتًا على الدوام. لأن هذا الدين (المحبة)، بشكل أساسي، هو الذي يجعل حياتنا تتضبط وتتوازن وتصبح في إنسجام وتوافق دائم.

إذًا بعدما عرفنا مقدار الربح الذي يأتي من وراء هذا الدين، وبقدر ما يُرَد ويُسدَد بقدر ما يزداد الربح، فإن دَيني الذي أنا مدين به لكم، لم يأت بسبب عدم المبالاه، ولا بسبب الجحود، بل بسبب المرض الذي حلَّ بي. لذلك أجد لزامًا عليَّ في هذا اليوم أن أسدده، بقدر ما استطع، متحدثًا إلى محبتكم بكلمات قليلة، مُتخذًا من معلم المسكونة المدهش، موضوعًا لحديثي. فلنسترجع اليوم ما قاله في رسالته إلى رومية، ولنضع أمام محبتكم هذه الوليمة الروحية لوقت قليل. لكن هناك إحتياج لأن نتكلم عن محتوى هذا الجزء الذي قُرأ، لكي تتذكروا كل ما قيل، وتقبلوا، ما سأتكلم عنه

بسهولة كبيرة. يقول الرسول بولس «ونحن نعلم أن الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معًا (أي معهم) للخير»[٣٣]. ماذا يعني بهذا الإستهلال؟ لأن هذه النفس الطوباوية لا تقل شيئًا بالمصادفة، ولا بدون سبب، بل أنها تقدم دومًا الأدوية الروحية المناسبة للتخفيف من الالآم الحالة.

إحتمال التجارب:

إذًا ماذا كان يعني بهذه الكلمات؟ لأن تجارب كثيرة قد أحاطت من كل جانب بأولئك الذين آمنوا، وحيَل العدو لم تنقطع، والمكائد كانت مستمرة، والحروب ضد الكرازة لم تهدأ، حيث أُلقي بالبعض في السجون، والبعض الآخر أُقتيد إلى النفي، والبعض الآخر تعرّض لعذابات كثيرة. لذلك فإنه مثل قائد الجيش المتميز، عندما يرى العدو غاضبًا جدًا، فإنه يتجول بين جنوده ليُحفزهم، ويشجعهم، ويجعلهم مُهيئين لمواجهة الأعداء، ولا يخشون هجماتهم، بل بالعكس يقفون بثبات

---

[٣٣] رو٨:٢٨. هكذا جاءت صياغة الآية في النص اليوناني.

وصلابة، ولا يخافوا شيئًا وهم يقاومونهم. بنفس الطريقة يسلك هذا الطوباوي الذي يحمل نفسًا سماوية، حيث يُحفز ويشدّد نفوس المؤمنين، ويسمو بأفكارهم، تلك التي كانت وكأنها مطروحه أرضًا، فبدأ كلامه قائلاً: «ونحن نعلم أن الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم للخير».

أرايت مدى تعقّل وحكمة الرسول بولس؟ لم يقل «اعلم»، بل «نحن نعلم»، فجذب هؤلاء أيضًا إلى قبول هذه الكلمات « أن الذين يحبون الله، كل الأشياء تعمل معهم للخير». إنتبه إلى مدى دقة كلمات الرسول بولس، لم يقل إن الذين يحبون الله يتجنبوا أو يتفادوا المشاق والشدائد، وَينجُون من التجارب، بل قال «نحن نعلم»، أي نحن نثق، نحن متأكدون، ونملك الحجج والإثباتات من الخبرة التي لنا تجاه هذه الأمور. «ونحن نعلم أن الذين يحبون الله، كل الأشياء تعمل معهم للخير».

كم من القوة تحملها هذه العبارة كما تتصورن؟ يقول إن «كل الأشياء تعمل معهم للخير». ولا تحدثني هنا عن الخيرات، ولا تفكر في الراحة والأمان

فقط، بل العكس، أي فكّر في السجون، والضيقات، والمكائد، والهجمات اليومية، وحينئذٍ سترى بدقة قوة هذه الكلمات. ولكي لا أقود محبتكم بعيدًا إلى إتجاه آخر، فلنتذكر بعض الأمور التي حدثت لهذا الطوباوي، وسترى مدى قوة هذه الكلمات.

فبينما ذهب إلى كل مكان، زارعًا كلمة التقوى، نازعًا الأشواك من جذورها، مُجاهدًا أن يُرسخ الحقيقة في نفس كل أحد، وصل إلى مدينة تابعة لمنطقة مكدونية، كما يروي لنا الطوباوي لوقا، الذي كتب سفر أعمال الرسل. وإذ بجاريه بها روح عرافة، وهذه لم تهدأ قط، بل كانت تتبع الرسل في كل مكان، وأرادت أن تُعرِّف الجميع بهم بمساعدة الشيطان، وكانت تفعل هذا أيامًا كثيرة فضجر الرسول بولس والتفت إلى الروح وأخرجه منها، وحررها من هذا الشيطان الخبيث، بقوة الكلمة. وبينما كان ينبغي على سكان المدينة أن ينظروا إلى الرسل بإعتبارهم فاعلي خير، ومنقذين لهم، وأن يعتنوا بهم بكل الطرق الممكنة، وأن

يكافئوهم من أجل الخير الوفير الذي صنعوه، إلا أنهم كافأوهم بما هو عكس ذلك. وإسمع بأي شيء قد كافأوهم يقول «فلما رأي مواليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام وإذا أتوا بهما إلى الولاة قالوا هذان الرجلان يُبلبلان مدينتنا وهما يهوديان ويناديان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها إذ نحن رومانيون. فقام الجمع معًا عليهما ومزق الولاة ثيابهما وأمروا أن يُضربا بالعصي. فوضعوا عليهما ضربات كثيرة وألقوهما في السجن وأوصوا حافظ السجن أن يحرسهما بضبط»[٣٤].

أرايتم الشر الشديد الذي لسكان تلك المدينة؟ أرايتم مدى صبر وجلد وإحتمال الرسل؟ إنتظروا قليلاً وستروا محبة الله الفائقة نحوهم. لأنه حكيم ومدبر، لم ينقذهم من الشدائد على الفور، وذلك حتى تزداد عقوبات الأعداء، ويظهر صبر مُجاهديه في تلك الحوادث، عندئذ يُظهر قوته حتى لا يمكن لأحد أن يقول، إنهم يندفعون نحو المخاطر، لأنهم

---

[٣٤] أع١٦:١٩-٢٣.

واثقون أنهم لن يُضاروا بأي شيء من الأمور المحزنة. ولهذا تحديدًا يترك الله البعض في الشدائد والمصاعب، مُظهرًا حكمة خفية، ويُنجي البعض الاخر. ولكي تعرف محبته الفائقة نحو البشر في كل شيء، وأنه يدَّخر لهؤلاء مكافأت عظيمة، فإنه يسمح في مرات كثيرة أن تمتد بهم الشدائد، هكذا يصنع في هذه الحالة. لأنه بعد هذه المعجزة العظيمة، والإحسان الذي أظهروه بإخراج الشيطان، سمح بأن يُجلَدا، وأن يُلقَى بهما في السجن. لأن من هنا تحديدًا، ظهرت قوة الله. ولذلك قال المطوب بولس: «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسرُ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح»[٣٥]، وأيضًا يقول: «لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي»، داعيًا التجارب التي لم تنقطع، بالضعف.

لكن من الممكن أن يُعبر أحد عن حيرته هنا، متسائلاً لماذا أخرجوا الشيطان الذي لم يقل أي شيء

---

[٣٥] ٢كو١٢: ٩-١٠.

ضدهم، بل ربما جعلهم معروفين للجميع، إذ أنه كان يصرخ لأيام كثيرة قائلاً: «هؤلاء الناس هم عبيد الله العليّ الذين ينادون لكم بطرق الخلاص»[٣٦]. لا تستغربوا أيها الأحباء، لأن هذا أيضًا كان عمل نعمة الروح القدس وحكمة بولس. لأنه وإن كان لم يقل أي شيء ضدهم، إلا أنه لكي لا يُصبح الشيطان بسبب هذا الكلام، موضع ثقة، بل ويمكنه في الأمور الأخرى أن يجذب البسطاء من الناس، لذلك فإن الرسول بولس بعدما أسكته، أخرجه على الفور، حيث لم يسمح له أن يتكلم في أمور لا يستحق أن يتكلم فيها. وحين يفعل الرسول بولس هذا، فهو يتبع سيده، لأن الشيطان أيضًا إقترب من المسيح، وقال له: « أنا أعرفك مَن أنت قدوس الله»[٣٧]، وبالرغم من أنه قال هذا، فقد أخرجه. وحدث هذا لتأنيب ولوم اليهود السفهاء، لأنهم بالرغم من أنهم كانوا يرون معجزات وأمور

---

[٣٦] أع١٦: ١٧.

[٣٧] لو٤: ٣٤.

مدهشة تحدث كل يوم، لم يؤمنوا، بينما الشياطين عرفوا المسيح جيدًا، وإعترفوا بأنه إبن الله.

قوة الصلاة والتسبيح:

لنعد إلى جوهر الموضوع، إذًا لكي تعرفوا كيف أن الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم للخير، فمن الضروري أن أشرح لكم هذا الأمر كله، أيضًا لكي تعرفوا كيف أنه بعد كل هذه الضربات، والسجن، فإن نعمة الله حوّلت كل شيء لخيرهم. ولنرى كيف قدم الطوباوي لوقا هذا الأمر، قائلاً «وهو إذ أخذ وصية مثل هذه ألقاهما في السجن الداخلي وضبط أرجلهما في المقطرة»[٢٨]. إنتبه كيف تزداد الشدائد، لكي يصبح صبر الرسول أكثر بهاءً، وكيف تصبح قوة الله التي لا يُعبَر عنها، واضحة وظاهرة في الجميع. لكن لتستمع إلى الكلمات التالية، لأنه أضاف «ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يُصليان ويسبحان الله»[٢٩].

---

[٢٨] أع١٦: ٢٤.

[٢٩] أع١٦: ٢٥.

أنظر إلى هذه النفس الجسورة، وهذا الفكر الهادئ غير المضطرب. أيها الأحباء ينبغي أن لا نعبر على ما قيل بسطحية، لأنه لا يذكر لنا الساعة مصادفةً، إذ يقول «ونحو نصف الليل»، لأنه أراد أن يبيِّن لنا أنه عندما يكون من الطبيعي أن يحل النوم على الفور، حين تأتي تلك الساعة، ويغلق المرء عينيه، حتى ولو كانت هناك ضيقات كثيرة، في تلك الساعة تحديدًا التي يستبد فيها طغيان سلطان النوم، نجد أن بولس وسيلا كانا يصليان ويسبحان الله، مظهرًا بهذا، محبتهما الفائقة لله. لأنه تمامًا مثلما يحدث حين نتضايق ونشعر بالآلام الجسدية، نطلب تواجد أقاربنا وأصدقائنا المقربين جدًا لنا، لكي نخفف من شدة الآلم بواسطة الحديث معهم، هكذا هذان القديسان وهما مُشتعلان بشوقهما نحو الله ويرنمان بالتسابيح المقدسة، لم ينشغلا أبدًا بتلك الالآم، بل كانا مكرسيّن بالكامل للصلاة والتسابيح المعزِّية، هكذا صار السجن، كنيسة، وهذا المكان تقدّس بأكمله بصلوات وتسابيح بولس وسيلا.

إذًا فقد بات ممكنًا أن يرى المرء أمورًا مدهشة وعجيبة، أي أن هناك أناس مُقيدين في مقطرة خشب، ومع ذلك لم يُعَاقا أبدًا عن التسبيح. لأن مَن هو نقي ويقظ، ويحمل شوقًا ملتهبًا نحو الله، لا يستطيع أي شيء على الإطلاق أن يعوقه عن الحديث معه. يقول الكتاب «ألعلّي إله من قريب يقول الرب ولستُ إلهًا من بعيد»[40]. ويقول في موضع آخر «حينئذٍ تدعو فيجيب الرب. تستغيث فيقول هأنذا»[41]. إذًا حيث يوجد الذهن النقي، يتحرر الفكر من القيود الجسدية وينطلق نحو ذاك الذي يشتهيه، ويزدري بالأمور الأرضية، وبعدما يصل إلى فوق، أعلى من الأشياء المرئية، يُسرع نحو الله. هذا تحديدًا ما حدث مع بولس وسيلا.

لاحظ إذًا النتيجة المباشرة للتسبيح، وكيف أنهما وإن كانا داخل السجن، ومقيدين في المقطرة الخشب، ومتواجدَين مع المحتالين والأشرار في مكان واحد، ليس فقط لم ينالهما أي أذي على

---

[40] إر٢٣:٢٣.

[41] إش٥٨:٩.

الإطلاق، بل قد أشرقا أكثر، وأنارا كل مَن كان في السجن بنور فضيلتهما. لأن صوت التسابيح المقدسة، دخل إلى نفس كل مسجون، وأعاد تكوينه مرة أخرى. لأنه يقول «فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن. فأنفتحت في الحال الأبواب كلها وإنفكت قيود الجميع»[٤٢]. أرايت مدى قوة التسبيح؟ فلم يتمتع بالعزاء، مَن كان يسبح فقط، لكن هذا التسبيح قد فك قيود المسجونين، لكي يظهر أنه من خلال تلك الحوادث ذاتها، كيف أن «الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم للخير». ها هي ضربات، وسجن، وقيد في المقطرة الخشب، وجلادون، إلا أن كل هذا صار سببًا للخير، ودافعًا لتحقيق النصرة، ليس فقط لمن كانوا مقيدين داخل السجن، بل ولحافظ السجن ذاته. يقول: «ولما أستيقظ حافظ السجن ورأى أبواب السجن مفتوحة استل سيفه وكان مزمعًا أن يقتل نفسه ظانا أن المسجونين قد هربوا»[٤٣].

---

[٤٢] أع١٦: ٢٦.
[٤٣] أع١٦: ٢٧.

خلاص حافظ السجن:

أرجو أن تنتبه هنا لمحبة الله نحو البشر والتي تتجاوز كل فكر. لماذا حدث كل هذا نحو منتصف الليل؟ ليس لأي سبب آخر، سوى أن يتم الأمر في هدوء وبلا صخب أو ضوضاء، ولكي يتحقق خلاص حافظ السجن. لأنه حين حدثت الزلزلة، وإنفتحت الأبواب، وإنفكت قيود الجميع، لم يُسمَح لأي أحد بالهروب. لاحظ حكمة الله هنا أيضًا، لأن كل الأمور التي حدثت، أي الزلزلة، والأبواب التي إنفتحت، والقيود التي إنفكت، تمت لكي يعرف الجميع من خلال هذه الأحداث التي وقعت، مَن هما هذان اللذان كانا في السجن وقتذاك (أي بولس وسيلا)، وإنهما لم يكونا أناسًا عاديين. ومع ذلك لم يُسمح لأي أحد بالخروج إلى خارج السجن، حتى لا يكونوا سببًا في تعرض حافظ السجن للمخاطر.

ومن جهة أن هذا أمر حقيقي، إسمع كيف أنه عندما ظن فقط أنهم هربوا، لعن حياته نفسها، لأن سفر الأعمال يقول «أستل سيفه وكان مزمعًا أن يقتل نفسه». لكن الطوباوي بولس الذي كان يتمتع

بالشفافية واليقظة، أنقذ الحمل من فم الوحش المفترس، إذ نادى عليه بصوت عظيم «فنادي بولس بصوت عظيم قائلاً لا تفعل بنفسك شيئًا رديًا لأن جميعنا ههنا»[٤٤]. يا لهذا الإتضاع الفائق! لم يتباهى بما حدث، لم يتعالى على حافظ السجن، لم يقبل أن يتكلم بأي شيء مبالغ فيه، لكنه حسب نفسه مع المسجونين، والجلادين، والأشرار، قائلاً: «جميعنا ههنا». أرايت كيف أنه سلك بتواضع كبير، ولم يعتبر نفسه أبدًا أسما من الأشرار الذين كانوا في السجن؟ لكن لاحظ كيف إقترب منه حافظ السجن فيما بعد، ليس بإعتباره واحد من الآخرين. لأنه يقول: «فطلب ضوءًا وإندفع إلى داخل وخر لبولس وسيلا وهو مرتعد. ثم أخرجهما وقال يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص»[٤٥].

لنفرح في الضيقات:

أرايتم كيف أن الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم للخير؟». أرايتم كيف تحطمت آلة

---

[٤٤] أع١٦:٢٨.

[٤٥] أع١٦:٢٩-٣٠.

الشيطان؟ وكيف صارت جميع حيله باطلة؟ ولأنهما طردا الشيطان، فقد سعى لسجنهما، معتقدًا أنه بذلك يُعيق طريق الكرازة. لكن ها هو السجن قد صار لهما سببًا في الربح الروحي.

وبناء على ذلك فنحن أيضًا إن كنا نتمتع بالشفافية والنقاء، ليس فقط عندما نحيا في راحة وهدوء، لكن أيضًا عندما نجتاز في الضيقات، نستطيع أن نربح الكثير، بل وأكثر جدًا مما في حالة الراحة. لأن الراحة عند الأغلبية منّا، تجعلنا في حالة لامبالاة، بينما الضيقة، تجعلنا أنقياء ومستحقين لمعونة الله، وبشكل أساسي عندما نضع رجاءنا في الله، ونُظهر صبرًا وجلدًا في كل الضيقات والشدائد التي نمر بها أو نجتازها. إذًا ينبغي أن لا نحزن عندما نختبر الضيقات والتجارب، بل لنفرح من أجل ذلك، لأن هذا سيؤول إلى تقدمنا ونمونا في الروح. ولذلك قال الرسول بولس «ونحن نعلم أن الذين يحبون الله. كل الأشياء تعمل معهم للخير».

لكن لنرى النفوس الملتهبة لهذين القديسين، عندما سمعا حافظ السجن وهو يقول: «ماذا ينبغي أن

أفعل لكي أخلص؟»، هل أرجأ الأمر؟ هل تأخرا؟ هل أهملا في تقديم التعليم له؟ لم يحدث هذا أبدًا. لكن ماذا قالا له؟ قالا: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك»[٤٦].

إنتبه لمدى العناية الرسولية، لم يكتفيا بخلاصه وحده، بل أرادا أن يجذبا معه كل أهل بيته إلى كلمة التقوى، موجهان إلى الشيطان الضربة القاضية. «واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون. ولما أصعدهما إلى بيته قدم لهما مائدة وتهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله»[٤٧].

وإنطلاقًا من هذا، نُعلم بأنه لا يجب أن نؤجل أبدًا إتخاذ القرار في الأمور الروحية ولا حتى للحظات قليلة، بل نعتبر دومًا أن الفرصة التي تأتينا، هي الفرصة المناسبة، لأن هذين القديسين لم يقبلا التأجيل بالرغم من أن الوقت كان ليلاً، فأي مبرر سيكون لنا، نحن الذين في وقت آخر، نتغافل عن الربح الروحي؟ أرايت كيف أن السجن قد صار

---

[٤٦] أع ٣١:١٦.
[٤٧] أع ٣٣:١٦-٣٤.

كنيسة؟ أرأيت كيف تحول مكان الجلادين فجأة إلى مكان للصلاة، وأن العبادة الكنسية كانت تؤدىَ هناك؟ كم هو عظيم أن نكون أنقياء، وأن لا نتغافل أبدًا عن الربح الروحي، بل نجعل كل فرصة مناسبة لهذه التجارة الروحية. ولذلك حسنًا قال الطوباوي بولس «الذين يحبون الله كل الأشياء تعمل معهم للخير».

الربح الروحي:

أرجو أن نحفر هذه العبارة في أذهاننا، وأن لا نحزن أبدًا عندما نجتاز الضيقات في هذه الحياة الحاضرة، أو نمر بأمراض جسدية، أو أي أمور أخرى مؤسفة، بل يجب أن نتناول كل الأمور بحكمة، ولنثبت في مقاومة التجارب، عارفين أن حياة التقوى تجعلنا نربح الكثير، بل وأكثر في حالة التجارب منه في حالة الراحة. ويجب ألا نقلق أبدًا، مادمنا نعرف مقدار الربح الذي يأتي من وراء الإحتمال والصبر، بل ولا نُبغِض أولئك الذين يسببون لنا هذه التجارب. لأنه حتى وإن كان أولئك يصنعون هذا، ساعين بإصرار نحو تحقيق هدفهم الشرير،

لكن إلهنا هو الذي يسمح بذلك، لأنه يُريد لنا من خلال هؤلاء، أن نجني الربح الروحي، وننال أجر الصبر على هذه التجارب.

إذًا إن كنّا نستطيع أن نحتمل التجارب والضيقات بشكر، فإننا سنمحي جزء كبيرًا من خطايانا. لأنه إذا كان الرب قد تحمل أن يرى هذا الكنز[٤٨] أي معلم المسكونة، وهو يتعرض كل يوم للمخاطر، ولا يزدري بجهاده، بل ويجعل جهاده أكثر، حتى يُعِد له التيجان البهية، فماذا سنقول نحن المملوين بخطايا لا حصر لها، والتي بسببها، نسقط مرات عديدة في التجارب، حتى أننا بعدما نُدان عنها هنا في هذه الحياة الحاضرة، نكون أهلاً لمحبة الله، وأن نتمتع في ذلك اليوم المخوف بتلك الخيرات الخفية؟

إذًا فلنفكر في هذه الأمور، ونثبت في مقاومة التجارب بكل شجاعة، ونبتعد عن إرتكاب الخطايا، بل وننفر منها، لكي ننال من الله محب البشر، أجر الصبر والإحتمال، وننال خيرات الحياة

---

[٤٨] أي المملوء بكل هذا الغنى الروحي.

الأبدية بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.